تقنية الحوار في الإبلاغ القرآني

الأستاذ الدكتور
عقيل عبد الزهرة مبدر الخاقاني
المدرس المساعد
فاطمة عبد الأمير السلامي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

تقنية الحوار في الإبلاغ القرآني

الأستاذ الدكتور
عقيل عبد الزهرة مبدر الخاقاني
المدرس المساعد
فاطمة عبد الأمير السلامي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

ملخص بحث

عدّت هذه الدراسة الحوار إحدى تقنيات الإبلاغ الخطابية ، وبينت أثر هذه التقنية في نظام الإبلاغ القرآني، وكشفت عن البعد التداولي الذي ظهر من مدى تفاعل الشخصيات المتحاورة فيما بينها، فضلاً عن تفاعل متلقي الخطاب القرآني مع هذه التحاورات وفهم المقصود من استعمالها ، فالإبلاغ القرآني يعمد إلى تقنية الحوار كلما أراد اقناع المتلقي أكثر ، إذ لا يسرد له القضية أو الحادثة أو الخبر بل يذكرهُ بلسان شخصيات مرت به وخبرته وتأثرت به، فظهر ذلك في أقوالها وأفعالها،مع تنوعها (ايجابية وسلبية)، فيقتنع المتلقي بما يريد الخطاب القرآني أبلغه به بشكل أكبر ويتأثر بما تحكيه هذه الشخصيات المتحاورة، وترتسم صورة هذه الشخصيات في ذهنه فيفهم من جميع ذلك مالا يفهمه بدونه .

المقدمة :

عُني الدارسون قدامى ومحدثون بقضية الحوار ، وأفردوا له أبواباً وفصولاً في مصنفاتهم في جانبي اللغة والأدب ، على أنّ ميدان الدراسة الأدبية ، والسردية منها على وجه الخصوص ، كان أكثر رحباً واتساعاً من غيره (١).

وقد لاقى (الحوار) اهتماماً بالغاً من الدارسين الذين عنوا بالجانب التواصلي والتداولي للغة تحت مصطلح (الاستلزام الحواري) (٢)، وقد

اعتمد أغلب هؤلاء على ما ذهب إليه "الفيلسوف الأمريكي "بول غرايس" Paul Grice ، في مقال نشره سنة ١٩٧٥ ، بعنوان "المنطق والحوار" Conversation analoglc ، قام فيه بتوصيف ظاهرة الاستلزام ، وبيان الأسس المنهجية التي تقوم عليها ، من خلال تطوير مفهوم الدلالة غير الطبيعية ، وقد انطلق في بحثه من كون الناس قد يقولون في حواراتهم ما يقصدون ، وقد يقصدون عكس ما يقولون ، ليركز في بحثه على إيضاح الاختلاف بين ما يقال ، وما يتم تبليغه " (٣).

ولوصف هذه الظاهرة تساءل غرايس كثيراً ، كيف يمكن أن يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر،وكيف للمخاطب أن يسمع شيئاً ويفهم شيئاً آخر، فتوصل إلى أربعة قواعد ضابطة لكل حوار لغوي ، ويحكمها مبدأ عام هو مبدأ (التعاون) وهذه القواعد الأربعة هي : قاعدة الكم ، وقاعدة الكيف ، وقاعدة الملاءمة ، وقاعدة الجهة (٤).

ولأن الحوار يجري بين طرفين متحاورين فإن المفهوم الأساسي للتحليل التحاوري هو مفهوم التفاعل " interaction " (٥)، و "يمكننا أن نفهم التفاعل على أنه تأثير للمقام على المتكلم أو تأثير الأنشطة الاقناعية والبلاغية لمتكلم في حضرة مستقبل يعمل على إحداث أنشطة تأويلية رجعية ، وبذلك يكون التفاعل علاقة سببية " (٦).

وقد عدّت هذه الدراسة الحوار إحدى تقنيات الإبلاغ الخطابية ، وسنبين في هذا البحث أثر هذه التقنية في نظام الإبلاغ القرآني،والبعد التداولي الذي يظهر من مدى تفاعل الشخصيات المتحاورة فيما بينها،فضلاً عن تفاعل متلقي الخطاب القرآني مع هذه التحاورات وفهم المقصود من استعمالها .

تقسم تقنية الحوار ،على ما يأتي (٧):-

أولاً : تقنية الحوار التوضيحي :

اعتمد الإبلاغ القرآني على هذه التقنية في عدد من السور المكية ، إذ يبلغنا الخطاب القرآني بجملة من الأمور والأحداث بوساطة الحوار الناشئ بين الشخصيات في القصص القرآني ، "ويكون اختيار التوضيح في سياق التحاور نظراً لمتطلبات التوضيح وإلا كان اختياره خرقاً لهذه المسلمات ، ومن بين أهم متطلباته السياقية ... جهل المخاطب بالموضوع" (٨).

ومن الشواهد القرآنية على هذه التقنية ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ (٩).

فالخطاب هنا موجه من الله سبحانه وتعالى إلى نبيّه الكريم محمد ﷺ " تسلية له مما ناله من أذى قومه،وتثبيتاً له بالصبر على أمر ربه كما صبر موسى عليه السلام، حتى نال الفوز في الدنيا والآخرة ، فقال ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ هذا ابتداء إخبار من الله تعالى على وجه التحقيق إذ لم يبلغه حديث موسى ، فهو كما يخبر الإنسان غيره بخبر على وجه التحقيق فيقول : هل سمعت بخبر فلان " (١٠).

وبعد هذا التساؤل، يأتي التوضيح عن حادثة تكليم موسى عليه السلام، بوساطة تقنية الحوار التوضيحي فالتوضيح هنا مقصود لجهل المخاطب بهذه الحادثة، والمخاطب يشمل ، الرسول ﷺ .

أولاً : لكونه المتلقي الأول للخطاب القرآني ، ومن ثم كل من يتلقى الخطاب القرآني من المتلقين على مر العصور .

ومما يلاحظ أنّ الحوار التوضيحي جاء هنا بعد الاستفهام في قوله تعالى ﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ ، إذن فمن متطلبات التوضيح الاستفهام (١١)، إذ يُسأل عن قضية معينة ، ومن ثم يأتي البيان والتوضيح لها بعد السؤال .

وفي أول فقرة من فقرات الحوار التوضيحي في هذا الخطاب القرآني ، يقول موسى عليه السلام لأهله ﴿ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ ، فموسى عليه السلام وضح لأهله ما يجب عليهم فعله ، وما سيفعله هو ، وقد اعتمد في توضيحه هذا على (امكثوا) ، أي الزموا مكانكم واتركوا ما أنتم عليه من السير (١٢).

ومن ثم قال مؤكداً ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ ويندرج فعل الأمر والتأكيد ضمن مصطلح (أفعال الكلام) (speech acts) في النظرية التداولية ، والفعل الكلامي : هو "كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري ، وفضلاً عن ذلك ، يعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية (Actes Locutoires) لتحقيق أغراض إنجازية (Actes illocutoires) (كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... الخ)، وغايات تأثيرية Actes (Perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) " (١٣).

ففعل الأمر (امكثوا) فعل انجازي يحمل قوة إنجازية مباشرة لأهل موسى عليه السلام هي : التوقف وعدم السير ، أما بالنسبة لمتلقي هذا الخطاب فهذا الفعل يكشف للمتلقي عن أنّ موسى عليه السلام هو المسؤول ، والقائد في السفر وهو كبيرهم ، وما أمرهم بذلك إلا لشدة خوفه ، وغيرته على أهله ، ومن جهة أخرى فإن ذهابه بنفسه دون أحد آخر يكشف عن مدى شجاعته وتحمله للمسؤولية (١٤).

وقول موسىعليه السلام ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَاراً﴾فعل كلامي مندرج ضمن صنف التقريريات Asser tifs، كما يرى التداوليون وهذا الفعل يستعمله المتكلم للتقرير ، ولإثبات صحة ما يتلفظ به (١٥).

ولأن للتقرير علاقة وثيقة بالتوضيح (١٦)، فقد كان استعماله هنا لتوضيح ما رآه موسىعليه السلام، وليطمئن أهله أكثر بصحة ما رآه فأكد ذلك لهم ، وبين لهم ما سيفعل فقال ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ وفي استعمال الخطاب القرآني لكلمة (لعلي) "إشارة إلى دقة في التعبير ، إذ بنى الأمر على الرجاء ؛ لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به" (١٧).

ولما ذهب موسى عليه السلام نحو النار قال تعالى :﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰٓ﴾ ، وقد "بني فعل النداء للمجهول زيادة في التشويق إلى استطلاع القصة ، فإبهام المنادي يشوق سامع الآية إلى معرفته فإذا فاجأه ﴿إِنِّيٓ أَنَا رَبُّكَ﴾ علم أن المنادي هو الله تعالى فتمكن في النفس كمال التمكن . ولأنه أدخل في تصوير تلك الحالة بأن موسى ناداه مناد غير معلوم له ، فحكي نداؤه ، "الفعل المبني للمجهول" (١٨).

وبعد تحقق القوة الانجازية لفعل النداء هنا وإنصات موسى عليه السلام، جاء التوضيح والبيان عن المصدر العظيم لهذا النداء، وذلك بقوله تعالى :﴿ إِنِّيٓ أَنَا رَبُّكَ﴾؛لإقرار هذه الحقيقة وتثبيتها لموسى عليه السلام أما بالنسبة لمتلقي الخطاب ففيه "تعليم لنا أن نعرّف من نكلفه بوصفنا الذي نكلفه فيه وبما يؤكد أننا متصفون بهذا الوصف" (١٩)، وبعد التعريف عن ذاته تعالى لموسى عليه السلام أمره بما يفعل ، فقال ﴿فَٱخْلَعْ﴾ و (اخلع) فعل كلامي انجازي ترتب عليه خلع موسى عليه السلام لنعليه ، فضلاً عن أنه يكشف للمتلقي "بأن من يساعد الإنسان على أن يتخلص من ارتباكه في المواقف الصعبة أن يفعل شيئاً محسوساً في مثل هذه

المقامات ، فلا شك أن الأمر بخلع النعلين ، وتنفيذ ذلك من قبل موسى ساعده على تحمل المفاجأة ، والتخلص من إرباكها" (٢٠).

ويأتي التقرير بعد ذلك ليكشف عن سبب الأمر بخلع النعلين ، ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾،فهو (مقدس) أي منزه و"مطهر ممن كل ما لا يليق بأفنية الملوك" (٢١)، وفي تقديم (المقدس) على (طوى) إشعار بقصد الخطاب القرآني لبيان سبب خلع النعلين لأنه مقدس، فكل مكان مقدس ينبغي التأدب وإظهار الإجلال فيه بمجرد معرفتنا بأنه بقعة مباركة حتى وإن لم يعيّن لنا .

وبعدها يأتي التوضيح أكثر بقوله تعالى:﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾،أي اجتبيتك واصطفيتك من دون الخلق قصداً ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ فعل كلامي يحمل قوة انجازية مفادها تحقق الاستماع والإنصات من موسى عليه السلام، وبعدها يأتي التوضيح للفعل (يوحى) باسلوب التقرير ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ ومما يلاحظ على تقنية الحوار التوضيحي هنا بأنها تتناوب بين أفعال الكلام المباشرة والتقريرات ، مع تسلسل مقصود في التوضيح ، وبيان ذلك بما يأتي :-

١- يا موسى ← فعل كلامي مباشر ← التوضيح (التلطف وتحقق الإنصات)

٢- إني أنا ربك ← تقرير ← التوضيح (تعريف عن ذاته تعالى وتهدئة موسى عليه السلام باستعمال لفظ ربك)

٣- فاخلع نعليك ← فعل كلامي مباشر

٤- إنك بالواد المقدس طوى ← تقرير ← التوضيح (إشارة لبيان سبب خلع النعلين)

٥- وأنا اخترتك ← تقرير ← التوضيح (الاجتباء)

٦- فاستمع لما يوحى ← فعل كلامي مباشر ← التوضيح (تكليف)
٧- (إني أنا الله ...الخ) ← تقرير ← التوضيح

(تحذير وقد جاء في الآخر بعد أن هدأ روعه وعرف عليه السلام ما كُلّف به)

أما في قوله تعالى بعد ذلك ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ إبلاغ لنا نحن متلقي الخطاب الكريم بما كان يحمله موسى عليه السلام معه ، فنحن نجهل ذلك ، لأنّ هذا السؤال يستلزم توضيحاً ، فجاء جواب موسى عليه السلام :﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ ليوضح لنا بأنه عليه السلام يحمل عصى ، ومن ثم ذكر استعمالاته لها بحسب الأهمية .

ومن الملاحظ في هذا الخطاب القرآني أنّ التقرير في أوله (إني أنا ربك) وفي آخره (إنني أنا الله) يحتوي على أكثر من مؤكد واحد ، وما ذلك إلا لإبلاغ متلقي الخطاب بشدة تعجب المخاطب – موسى عليه السلام – تفاجئه وعظمة الموقف الذي يمر به ، حتى أن الخطاب القرآني لم يذكر لنا ما قاله أو فعله مما يوحي بعدم القدرة على الاتيان بفعل أو قول معين لهول الأمر آنذاك ، فجاء التوضيح عن المنادي بأنه (إني أنا ربك) والتوضيح كما يوحى بـ(إنني أنا الله) ، وقد ورد هذا الأسلوب في تقنية الحوار التوضيحي في مواضع أخرى من الخطاب المكي ، ومن ذلك قول يوسف عليه السلام لأخيه عندما جاء أخوته من البدو إلى مصر إذ عرفه عن نفسه ووضح له ذلك بقوله ﴿إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ﴾ (٢٢)،وفي قول الملك لمريم عليها السلام عندما قالت له : ﴿ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ (٢٣)، ففي كل موضع يستعمل الخطاب القرآني التقرير داخل تقنية الحوار التوضيحي ، يكون لإبلاغ المتلقي بهول الموقف ، وبمدى تفاجؤ المخاطب مما يحيط به فاحتاج التقرير لهذا العدد

من المؤكدات ، إذ كلما كان التأكيد أكثر كان دلالة على التعجب والتفاجؤ أكثر .

ثانياً : **تقنية الحوار التلميحي** :-

ومع أن التوضيح له دوره ومكانته في الحوار إذ يكشف للمخاطب عن أشياء يجهلها إلا أن التلميح في كثير من السياقات يكون أبلغ من التصريح والتوضيح فيها (٢٤)، أي أنه "إذا كان التوضيح جزءاً من مفهوم البيان فإن التلميح أيضاً جزء من هذا المفهوم ، إذ يغدو التلميح في بعض السياقات التواصلية أحسن وسيلة لغوية لأداء مقاصد المتكلم" (٢٥)، إذ يعمد المتكلم إلى التلميح "لينجز بها أكثر مما يقوله ، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه ، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق" (٢٦).

وكثيراً ما يستعمل المتكلم التلميح للتأدب في الخطاب ، وقد يكون التأدب (٢٧):

- مع الذات، بأن ينزه المرسل نفسه عن القول الفاحش ، أو ذكر ما يستغرب منه ، والمحافظة على صورته المعهودة .
- مع المرسل إليه ، بأن يحترمه ؛ فلا يذكر أمامه ما يحط من قدره ، أو يقلل من شأنه .
- مع مكان الخطاب ؛ فينزهه عن ذكر ما لا يليق بحرمته ، مثل المسجد أو المجلس .

ولأننا ندرس (الحوار)، في هذا الوضع من هذه الدراسة ، ينبغي علينا الوقوف عند الحوار التلميحي الذي لا يقصد ما تعني العبارة مباشرة وإنما يلمح من خلالها إلى مقاصد أخرى روعي السياق في عدم التصريح بها ، فتمت الإشارة إليها لتفتح ذهن المتلقي لمعانٍ أخرى فلا يقتصر على الدلالة المباشرة فقط .

ومن الحوارات التلميحية النى نشهدها في الخطاب القرآني في العهد المكي ، حوار يوسف عليه السلام مع إخوته ، عندما أراد أن يأخذ أخاه في دين الملك ،

فجعل السقاية في رحله ثم استخرجها من دعائه فقال أخوته ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (٢٨).

ففي قوله تعالى :﴿ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ ، " القائلون هم إخوة يوسف عليه السلام لأبيه ، ولذلك نسبوا يوسف إلى أخيهم المتهم بالسرقة لأنهما كانا من أم واحدة ، والمعنى أنهم قالوا : إن يسرق هذا صواع الملك فليس ببعيد منه؛ لأنّ له أخاً قد تحققت السرقة منه من قبل، فهما يتوارثان ذلك من ناحية أمهما ونحن مفارقوهما في الأخ . وفي هذا تبرئة لأنفسهم من السرقة لكنه لا يخلو من تكذيب لما قالوه آنفاً :﴿ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾؛ لأنهم كانوا ينفون به السرقة عن أبناء يعقوب جميعاً وإلا لم يكن بنفعهم البتة فقولهم :﴿ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ يناقضه وهو ظاهر.على أنهم أظهروا بهذه الكلمة ما في نفوسهم من الحسد ليوسف وأخيه " (٢٩).

فهم لم يصرحوا بحسدهم لهما وإنما ذلك يتضح من خلال قولهم آنف الذكر ، وبيان ذلك فيما يأتي :-

- إنهم قالوا مباشرة (إن يسرق) ، من دون أن يسألوه أولاً عن كيفية وصول الصواع في رحله ، وهل أخذه فعلاً ، مع أنهم قالوا مسبقاً ، (ما كنا سارقين) ، فالمفروض أن يقفوا موقف الأخوة بأن يعملوا على تبرئة أخيهم، خصوصاً وهم غرباء في بلد آخر ، فكذبوا أخاهم وصدقوا بما نسب إليه من السرقة .
- ثم قالوا بالتحقيق (قد سرق أخ له من قبل)، باستعمال (قد) فأثبتوا السرقة لأخيهم يوسف عليه السلام، وهم يعرفون أن ذلك عارٍ عن الصحة ، ولكن هذا القول يلمح إلى أن حسدهم ليوسف هو الأكبر ، فلو كان هناك شك في

سرقة (بنيامين) بقولهم (إن يسرق) ، فليس هناك مجال للشك في تحقق سرقة يوسف عليه السلام في رأيهم، وقد فصلوا بقولهم (أخ له) بينهم وبين يوسف عليه السلام وأخيه، فكأنما هم جميعاً فرقة ، ويوسف وأخوه فرقة أخرى .

فلم يجبهم يوسف عليه السلام عن ما قالوه في حقه بدليل قوله تعالى :﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ﴾، " أي أخفى هذه الكلمة التي قالوها أي لم يتعرض لما نسبوا إليه من السرقة ولم ينفه ولم يبين حقيقة الحال " (٣٠).

فقال في نفسه ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾، وذهب أغلب المفسرين إلى أن هذا القول يعني :أنتم أسوأ حالاً من يوسف وأخيه لأنهما بريئان من كل ما افتريتم به عليهما ، أما أنتم فقد سرقتم يوسف عليه السلام من أبيكم حقيقة (٣١).

ولكن هذا القول لا يقصد منه هذا المعنى فقط ، إذ نلمح فيه مقاصد أخرى ، فهو يكشف عن علاقة يوسف عليه السلام بإخوته من أبيه وشعوره نحوهم ، وكذلك يكشف عن نيتهم نحوه سابقاً ومستقبلاً ، إذ لم يحدد يوسف عليه السلام بقوله ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ﴾ المكان والزمان، بل أطلق ذلك فلا يدل قول هذا على الماضي أو الحاضر فقط ،بل نلمح فيه انطباقه على المستقبل أيضاً ، إذ لم تكشف لنا سورة يوسف عن مغفرة الله سبحانه وتعالى لهم وعفوه عنهم ، صحيح أنهم دعوا الله ليغفر لهم وقال لهم أبوهم يعقوب عليه السلام :﴿ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾، ولكن لم نعرف هل تحققت المغفرة الالهية أم لا؟ بالنسبة لهم .

فمثلما لمحنا في قولهم الفصل بينهم وبين يوسف عليه السلام وأخيه،كذلك نلمح في قول يوسف عليه السلام هذا الفصل ، وحتى في عموم السورة المباركة نجد في حوار يوسف عليه السلام مع أخوته ، مخاطبته إياهم بلفظ أخوتي ، عدا في قوله لأبيه في نهاية القصة ﴿ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ ، وحتى هم لم يلفظوا (أخونا) أو (أخانا)، بل إما يخاطبوه باسمه أو يقرنوه بأخيه كما في قوله تعالى:﴿ لَيُوسُفُ

وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾، بينما قال لأخيه ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ وبعدها قال لهم ﴿أَأَنتَ يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾ فهو يؤكد الأخوة بينه وبين أخاه ، أما معهم فلا .

ثالثاً : **تقنية الحوار التوجيهي** :-

يلاحظ على الإبلاغ القرآني استعماله لهذه التقنية في كثير من المواضع في الخطاب القرآني وخصوصاً الموجه من أعلى إلى أدنى ، أو من جانب ايجابي إلى جانب سلبي ، إذ تسهم تقنية التوجيه في ضغط المبلّغ على المبلّغ إليه ، " وتوجيهه لفعل مستقبلي معين " (٣٢)، ينجزه جرّاء هذا التوجيه ، فهذه التقنية تعطي للمبلّغ مجالاً للتدخل في ردة فعل المبلّغ إليه سلباً وإيجاباً .

ولأنّ المبلّغ يعمد إلى هذه التقنية في الخطاب ، بغية التأثير في أفعال المبلّغ إليه ، ينبغي عليها أن تتسم " بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل ، فوضوح القصد سبب في عدم حيرة المرسل إليه ، مما يضمن تحقيق هذا المرسل بنوعية الكلي والنفعي في العالم الخارجي . ولن يستطيع المرسل إليه ، بلا شك ، أن يحقق الهدف الذي ينشده المرسل إذا كان الخطاب غامضا ، أو يحتمل أكثر من تأويل " (٣٣).

ويكثر في هذه التقنية استعمال الأفعال الكلامية المندرجة تحت مسمى التوجيهات (les directifs) (٣٤).، وتشمل : الأمر بأدواته المختلفة ، والنهي ، والاستفهام ، والنداء ، والتحذير ، والاغراء ، والتوجيه المركب ، وغيرها (٣٥).

وقد كثر اعتماد الإبلاغ القرآني على هذه التقنية في حوار الأنبياء ﷺ مع أقوامهم ، ومن ذلك، ما ورد في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ

خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ (٣٦).

ويلاحظ على هذا الخطاب ، أنّ النبي صالح عليه السلام وجههم بأكثر من أسلوب ، فهو إذن توجيه مركب ، استعمل أول مرة النداء (يا قوم) ثم عضده بالأمر بعد ذلك (اعبدوا الله) ، وعادة ما يجتمع النداء مع الأمر في تقنية الحوار التوجيهي ، ذلك بأن المبلّغ يدعو المبلّغ إليه وحتى اذا صار عنده واسترعى انتباهه وجه إليه فعلاً بقوة انجازية مباشرة ، لكي يقوم المبلّغ إليه بانجازه.

ثم بعد ذلك وجههم نحو كيفية التعامل مع آية الله تعالى التي أرسلها اليهم ، باسلوب العرض، إذ قال : ﴿ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ ﴾ ، " والمراد بهذه البينة الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام أول ما خاطبهم به إثر الدعوة إلى التوحيد بل إنما قاله بعدما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه "(٣٧)، وبعد الانتهاء من العرض، عاد إلى أمرهم بفعل ما يجب فعله، فقال: ﴿ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ فاجتمع كلاً من الأمر والنهي هنا، لتأكيد إبلاغهم بعدم أذيتها ، وردعهم عن فعل ما يسيء اليها ، وفي قوله عليه السلام فذروها " تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى . وقيل : على كونها ناقة له سبحانه فإن ذلك مما يوجب عدم التعرض لها أي فاتركوها ... وأضيفت الأرض إلى الله سبحانه قطعاً لعذرهم في التعرض كأنه قيل : الأرض أرض الله تعالى والناقة ناقة الله تعالى فذروا ناقة الله تأكل في أرضه فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم فأي عذر لكم في منعها " (٣٨).

(ولا تمسوها) " نهي عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالشر الشامل لأنواع الأذى مبالغة في الزجر فهو كقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ ﴾ (الأنعام

:١٥٢) و (الإسراء :٣٤) والتنكير للتعميم أي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها أصلاً كالطرد والعقر وغير ذلك والمعنى لا تمسوها مع قصد السوء لها " (٣٩).

ثم عطف على الأمر الأول بأمر آخر ﴿ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ﴾ فهو عليه السلام يوجه قومه هنا للتمعن في نعم الله التي رزقهم إياها ، وفي خاتمة حواره معه قال ﴿ فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ ، فجمع هنا أيضاً بين الأمر والنهي ، إذ يعضد كلاً منهما الآخر ، ويبلّغ المتلقي بأن الإنسان لا يعثو في الأرض فساداً ما دام ذاكراً لله تعالى .

فما كان جواب قومه عن جميع هذه التوجيهات التي قدمها لهم ، كان جوابهم ما حكاه القرآن الكريم عنه ، إذ قال تعالى : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ (٤٠).

نلاحظ هنا دقة وصف الخطاب القرآني (للملأ)، فهو بعد أن خاطبهم جميعاً بقوله (يا قوم) شملهم بندائه بجميع طبقاتهم ، وسمعوه جميعاً وعرفوا توجيهاته ، جاء الرد من فئة وصفهم القرآن الكريم بأنهم (الذين استكبروا من قومه)، أي علّية القوم فلم يوجهوا له الحوار بل قالوا للطبقة المستضعفة من القوم ، وليست جميعها أيضاً بل (لمن آمن منهم) بصالح عليه السلام ، ﴿ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾، والسؤال هنا يستلزم معنى الاستهزاء والتعجب بجميع ما تفضل به عليه السلام من توجيهات ونصائح ، فكان جواب المؤمنين بالتقرير (إنا بما أرسل به مؤمنون) فأجابوهم بالتقرير أيضاً (إنما بالذي أنتم به كافرون) وبعد

أن عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم ، قالوا ﴿ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أيضاً مستهزئين ، وجمعوا هنا بين النداء (يا صالح) والأمر (ائتنا) .

ومن الشواهد على هذه التقنية حوار يوسف ويعقوب عليهما السلام عندما قص عليه رؤياه فقال يعقوب عليه السلام موجهاً يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٤١).

ويُلحظ أيضاً استعمال التوجيه المركب هنا المكون من النداء (يا بني) + النهي (لا تقصص) ، إذ أول الأمر وجهه عليه السلام بأن لا يقصص رؤياه على أخوته ، فهو أبرز أمر أبلغ عنه هنا،وفي هذا القول " دليل على أن مباحاً أن يحذر المسلم أخاه المسلم عن يخافه عليه ، ولا يكون داخلاً في معنى الغيبة ؛ لأن يعقوب عليه السلام قد حذر يوسف أن يقص رؤياه على أخوته فيكيدوا له كيداً ، وفيها أيضاً ما يدل على جواز ترك اظهار النعمة عند من تخشى غائلته حسداً وكيداً " (٤٢)، ومن ثم بعد ذلك قال له ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴾ (٤٣)، فيعقوب عليه السلام علم تأويل رؤيا يوسف عليه السلام بعد أن سمعها ، إلا أنه أخر إبلاغه عليه السلام عن الاجتباء " واصل الاجتباء من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك وفسروه بالاختيار لأنه إنما يجتبي ما يختار وذكر بعضهم ان اجتباء الله تعالى العبد تخصيصه إياه بفيض الهي يتحصل منه أنواع من المكرمات بلا سعي من العبد وذلك مختص بالأنبياء عليهم السلام ، ومن يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين " (٤٤)، ووجهه نحو التكتم على هذه الرؤيا وعدم قصها على أخوته ، فهو عالم بنياتهم مسبقاً .

ومن ذلك حوار نفر من الجن مع قومهم بعد أن سمعوا القرآن الكريم ، إذ قالوا ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ

وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٤٥).

وهنا أيضاً توجيه مركب من الأتي :-

١- النداء (يا قومنا) + التقرير (إنا)

٢- النداء (يا قومنا) + الأمر (اجيبوا) و (آمنوا) + النهي (من لا يجب) + النفي (ليس بمعجز في الأرض) و (ليس له من دونه أولياء) .

فالنداء الأول للتنبيه على إقرارهم بتمام القرآن الكريم وإيمانهم به .

أما النداء الثاني فهو لتوجيههم نحو الإيمان بالله تعالى واجتماع الأمر والنهي والنفي هنا يعضد بعضه الآخر ، فهم لم يوجهوا قومهم بالإجابة والإيمان فقط وإنما حذروهم من عواقب عدم الإجابة وما يترتب عليها ، فهو توجيه وتحذير في الوقت نفسه .

رابعاً : **تقنية الحوار الحجاجي** :

شغلت ظاهرة الحجاج عدداً كبيراً من الدارسين خصوصاً اللسانيين منهم لما لها من أثر كبير في استمرار التواصل ، ذلك بأنها ظاهرة لسانية تستدعي طرفين أحدهما يحاجج الآخر بحجج معينة ، وغايته اقناع الطرف الآخر لصالحه فيستمر بإلقاء الحجج والبرهنة عليها قدر المستطاع ، والطرف الآخر إذا لم يقُنع بحجج الطرف الأول يعمل على ردها عليه واعطائه حججاً على صحة كلامه هو ، فيستمر التواصل بينهما إلى أن يقنع أحدهما الآخر أو يبقى كل طرف مقتنعاً بما يراه وهكذا . إذن كلما كان هناك خطاب حجاجي كان هناك تواصل ، وكلما كان التواصل موجوداً فإن الإبلاغ موجود وغايته هي الاقناع (٤٦).

ولأنّ الحجاج يستدعي وجود طرفين مرسل للحجج ومستقبل لها ، فإنّ هناك حواراً حجاجياً بين هذين الطرفين ، وهذا الحوار مبني على قضية أو فرضية خلافية يستعين فيها المرسل بالوسائل اللغوية والآليات الإقناعية المترابطة منطقياً قاصداً بها التأثير في المتلقي ويحمله على تصديقه والتسليم له (٤٧)، "وذلك بإقامة البرهان عن طريق التحاكم إلى العقل ، أو إلى القضايا التي لا تكلف الإنسان في إدراكها سوى الرجوع إلى الحس والتجربة " (٤٨).

ومن الشواهد على هذه التقنية ، حوار هود عليه السلام مع قومه ، إذ قالوا له بعد أن دعاهم إلى عبادة الله تعالى وتوحيده ما حكاه القرآن الكريم عنهم في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٤٩)، فأجابهم بقوله عليه السلام ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ (٥٠).

فقد كانت حجتهم بعدم اتباعه وتصديقه بأنه :

١- سفيه (حشاه عليه السلام عن ذلك) .

٢- كاذب (حشاه عليه السلام عن ذلك) .

ولأنّ السفه " ضد الحلم،وأصله الخفة والحركة "(٥١)، فقد أرادوا تأثير هذه الصفة فيه عليه السلام، إذ أقروا ذلك الوصف عليه بقولهم :﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ ، باستعمال مؤكدين (إن + اللام)، وبعدها فعل الرؤية ، أي أنهم متيقنون من أنه في سفاهة ، أما قولهم ﴿ وإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فهو أقل تأكيداً من الأول ؛ ذلك لاستعمال فعل (الظن) هنا ، فضلاً عن استعمال حرف الجر (من) وهي للتبعيض بينما في قولهم الأول استعملوا حرف الجر (في) وهي ظرفية ، أي متوغلاً في السفاهة متمكناً فيها غير منفك عنها (٥٢)، فهم أرادوا أن يسفهوا أقواله حتى لا يتبعه الناس ولكي يحتجوا عليه بأنهم لا يتبعوا شخصاً سفيهاً ، ومن ثم قالوا عنه بأنهم يضنونه من الكاذبين ، وأنّ

الإبلاغ القرآني يكشف لنا من خلال استعمال تقنية الحوار الحجاجي هنا ، شخصية هؤلاء إذ كان همهم الأكبر تسقيط هود عليه السلام في أعين الناس ، وتفنيد ما أتى به من دعوة ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر تكشف لنا هذه التقنية عن مدى حقدهم عليه عليه السلام ، إذ لم يقولوا له بأنك كاذب ، لأن الكاذب يدرك تصرفاته فيكذب لأجل تحقيق غاية معينة ، بل أرادوا سلب قدرة التفكير والتخطيط والإدراك عنده عليه السلام فادعوا عليه بأنه (في سفاهة) ، وما يؤكد تقديم هذه الحجة على حجة الكذب ، رده عليه السلام عليهم إذ رد بأنه ليس سفيهاً ، فتفنيد حجة السفاهة هي الأهم هنا ، فبتفنيدها يترتب تفنيد عدم الكذب تلقائياً فقال عليه السلام ﴿ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ❖ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾، فنفى عليه السلام صفة السفاهة نفياً قاطعاً ومن ثم قدم حججاً تدل على عدم السفاهة وهي :

١- أنه رسول
٢- أرسله رب العالمين
٣- يبلغ رسالات ربه
٤- وهو لهم ناصح أمين.

وفي رده هذا تعليم للمتلقين وإبلاغ لهم عن كيفية التعامل مع السفهاء وكيف يكون الخطاب معهم ، إذ غض عليه السلام الحديث عما اتهموه به وقدم لهم حجة ودليلاً دحض بها حجتهم ، بأنه معروف بينهم وبأنه ناصح أمين لا يكذب فالأحرى بهم عدم اتهامه بذلك (٥٣).

ومن الشواهد أيضاً ، حوار نوح عليه السلام مع ابنه ، إذ قال تعالى : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ (٥٤).

فعندما نادى نوح عليه السلام ابنه هنا وأمره بالركوب معهم في السفينة ، أراد بذلك نجاته ، لأن ركوب السفينة يستلزم نجاته ، ونهاه عن البقاء مع الكافرين لأنه يستلزم هلاكه معهم ، فاحتج ابنه عليه بأنه قال :﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ ، إذ ظن بأنّ أعالي الجبال لن يصل إليها ماء الطوفان ، فهي عالية جداً وبذهابه إلى أحدها سينجو من الغرق،وهو مقتنع بهذه الفكرة وأراد أقناع والده بها ، فدحض نوح عليه السلام فكرته هذه بقوله :﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ومن ثم استثنى ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ أي إلا من رحمه تعالى .

ومن ذلك حوار أهل النار فيما بينهم ، إذ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴾ (٥٥)، فهو حوار بين فئتين من أهل النار ، هما : (الضعفاء) و (الذي استكبروا) ، فحجة الضعفاء قولهم للذين استكبروا ﴿ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ ، أي تبعناكم في الحياة الدنيا ورأينا ما رأيتموه ، ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ ، فرد الذين استكبروا حجتهم بأن قالوا (إنا كلٌ فيها) ، و (إن الله قد حكم بين العباد) .

ومن الشواهد القرآنية على هذه التقنية أيضاً ما ورد في حوار الكفار مع جلودهم عندما أشهدها الله عليهم ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥٦)، إذ يسأل الكفار جلودهم بقولهم (لم شهدتم علينا) ؟ سؤال تعجب واستغراب شديدين ، فأجابت جلودهم ، بإعطائهم حجة على نطقها بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أنطقها ، ولتأكيد الحجة أكثر قالوا (الذي أنطق كل شيء) في الوجود فلا

تستغربوا وتتعجبوا من نطقنا ، وفي نهاية قولهم عضدوا حجتهم بأن قالوا ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ، أي إذا استغربتم من قدرة الله تعالى على انطاق الجلود ، فهو خلقكم من تراب وسوف تعودون إلى التراب ويبعثكم مرة ثانية ، فكان جواب هذه الجلود بمثابة رد لكل كافر متكبر ، لا يؤمن بقدرة الله تعالى .

الخاتمة :

وفي ختام هذا البحث يتبين لنا أنّ الإبلاغ القرآني يعمد إلى تقنية الحوار كلما أراد اقناع المتلقي أكثر ، إذ لا يسرد لحه القضية أو الحادثة أو الخبر بل يذكرهُ بلسان شخصيات مرت به وخبرته وتأثرت به، فظهر ذلك في أقوالها وأفعالها،مع تنوعها (ايجابية وسلبية)، فيقتنع المتلقي بما يريد الخطاب القرآني أبلغه به بشكل أكبر ويتأثر بما تحكيه هذه الشخصيات المتحاورة، وترتسم صورة هذه الشخصيات في ذهنه فيفهم من جميع ذلك مالا يفهمه بدونه .

Abstract

This study is devoted to one of the aspects of rhetoric; it is the eloquence . The Qur'nic notification used the rhetorical methods as technique aim at revealing a number of points without which the linguistic mission could not be achieved, and by which the receiver understand more. In addition these techniques affects the receiver and participates in draw his attention towards what he is notified with, as eloquence has a great effect on the receiver; a reader and audience, in different rates. If somebody wants to notification somebody else courage, he would say :- he is a brave, so he notified the receivers that this person is brave, yet if he wants to say this in a more suggestive way he would adopt one of the rhetorical techniques such as saying: (he is brave like a lion), (the lion returns with victory) or (the lion defeats the enemy) and so on where each rhetorical technics has a special effect. As we tackle the rhetorical system in the holy Qur'an, it uses the rhetorical

technics in certain situations in the Meccay suras, to represent the center of impacting, understanding and persuasion as in simile, once, and the other is to represent the focal point that participate the event constructing as in metaphor. In other situations, it works to peruse the receiver with the attribute in the character as we show in metonymy.

هوامش البحث

(١) ينظر : جماليات التلقي في السرد القرآني : ٧٦ – ١٠٥ ، ١٢٨ – ١٤٥ ، وصيغ المظهر الروائي بحث في دلالة الأشكال ، د. عبد اللطيف محفوظ : ٢٩ – ٣٦ ، والمصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث ، د. أحمد رحيم الخفاجي : ٤٠٦ وما بعدها ، ومن البحوث المنشورة في هذا المجال : (الحوار في قصص تحسين كرمياني)، د. نبهان حسون السعدون ، و (أنماط التشكيل الحواري) ، د. ساجدة عزيز ، والبحثان منشوران ضمن كتاب (مغامرة الكتابة في تمظهرات الفضاء النصي) ، إعداد وتقديم ومشاركة ، محمد صابر عبيد .

(٢)ينظر:كتاب(الاستلزام الحواري في التداول اللساني)، العياشي أدواري، وكتاب (الحوار وخصائص التفاعل التواصلي)، د.محمد نظيف، وكتاب (التبالغ والتبالغية نحو نظرية تواصلية في التراث) ، رشيد يحياوي، والتداولية، جورج يول ، ترجمة: د. قصي العتابي :٦٢/٥١ والتداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول – جاك موشلار، ترجمة : د. سيف الدين و د.محمد الشيباني : ٦٠ وما بعدها ،والتداولية وإستراتيجية التواصل ، د. ذهبية حمو الحاج : ٣٧٩ وما بعدها، و (عندما نتواصل نغير/مقاربة تداولية معرفية ، لآليات التواصل والحجاج) ، د. عبد السلام عشير: ٢٠٠ – ٢٠٢ ، وأنساق التداول التعبيري : ٦٢ – ٦٣ .

(٣) مظاهر التداولية ، باديس لهويمل : ٣٠ .

(٤) ينظر : مظاهر التداولية : ٣٠ – ٣١ ، بتصرف ، والاستلزام الحواري في التداول اللساني : ٩٥ وما بعدها ، وتداولية الخطاب السردي / دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي ، محمود طلحة : ١٢٠ – ١٢١ .

(٥) ينظر : اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل : ٢٢ – ٢٠٣ .

(٦) المرجع نفسه : ٢٠٥ .

(٧) اعتمدت الباحثة في هذا التقسيم على استراتيجيات الخطاب التي اعتمدها ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، في كتابه (استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية) ، وما ذهب إليه محمود طلحة في دراسته (تداولية الخطاب السردي) إذ اعتمد ما قاله عبد الهادي الشهري وطبقه على (وحي القلم للرافعي) .

(٨) تداولية الخطاب السردي : ١٤٢ .

(٩) سورة طه آية : ٩ – ١٨ .

(١٠) مجمع البيان في تفسير القرآن : ٧ / ١٨ .

(١١) ينظر : تداولية الخطاب السردي : ١٤٢ .

(١٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٢ / ٢٧٥ ، بتصرف .

(١٣) التداولية عند العلماء العرب ، مسعود صحراوي :٤٠ .

(١٤) ينظر : الأساس في التفسير : ٧ / ٣٣٥٢ – ٣٣٥٣ .

(١٥) ينظر : التداولية عند العلماء العرب : ٢٠٨ .

(١٦) ينظر : تداولية الخطاب السردي : ١٤٤ ،وسيكولوجية القصة في القرآن،التهامي نقرة : ٤١٥ .

(١٧) الأساس في التفسير : ٧ / ٣٣٥٣ .

(١٨) تفسير التحرير والتنوير : ١٦ / ١٩٥ .

(١٩) الأساس في التفسير : ٧ / ٣٣٥٣ .

(٢٠) المرجع نفسه : ٧ / ٣٣٥٣ .

(٢١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٢ / ٢٧٦ .

(٢٢) سورة يوسف آية : ٦٩ .

(٢٣) سورة مريم آية : ١٨ – ١٩ .

(٢٤) وقد عرف العلماء العرب هذا الأسلوب في الكلام ، وتطرقوا إليه في تضامين مؤلفاتهم تحت موضوعات عدة أهمها موضوعات الاستعارة والمجاز والكناية .

(٢٥) تداولية الخطاب السردي : ١٤٧ .

(٢٦) استراتيجيات الخطاب : ٣٧٠ .

(٢٧) المرجع نفسه : ٣٧١ – ٣٧٢ .

(٢٨) سورة يوسف آية : ٧٧ .

(٢٩) الميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٦٨ .

(٣٠) المرجع نفسه : ١١ / ١٦٨ .

(٣١) ينظر : التفسير الكبير ومفاتيح الغيب : ١٣ / ١٨٨ – ١٨٩ ، والكشاف : ٢ / ٤٦٤ ، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور : ١٠ / ١٨٩ ، والميزان في تفسير القرآن : ١١ / ١٦٨ .

(٣٢) استراتيجيات الخطاب : ٣٢٢ .

(٣٣) المرجع نفسه : ٣٢٧ .

(٣٤) ينظر : تداولية الخطاب السردي : ١٥١ .

(٣٥) ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٣٤٠ .

(٣٦) سورة الأعراف آية : ٧٣ – ٧٤ .

(٣٧) روح المعاني : ٨ / ٥٥٧ .

(٣٨) المصدر نفسه : ٨ / ٥٥٧ .

(٣٩) روح المعاني : ٨ / ٥٥٧ .

(٤٠) سورة الأعراف آية : ٧٥ – ٧٦ .

(٤١) سورة يوسف آية : ٥ .

(٤٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٥ / ١١٠ .

(٤٣) سورة يوسف آية : ٦ .

(٤٤) روح المعاني : ١٢ / ٥١٨ – ٥١٩ .

(٤٥) سورة الاحقاف آية : ٣٠ – ٣٢ .

(٤٦) ينظر : كتاب (اللغة والحجاج)، د. أبو بكر عزاوي ، وكتاب (التداولية والحجاج / مداخل ونصوص)، لصابر الحباشة وكتاب (عندما نتواصل نغير / مقاربة معرفية لآليات التواصل والحجاج)، وتداولية الخطاب السردي : ١٥٥ وما بعدها .

(٤٧) ينظر : الحجاج التصورات والتقنيات ، د. مؤيد آل صوينت ، مجلة الأقلام ،١٤/ آذار / ٢٠١١م : ٧٣ .

(٤٨) سيكولوجية القصة في القرآن :٤١٧ .

(٤٩) سورة الأعراف آية : ٦٦ .

(٥٠) سورة الأعراف آية : ٦٧ – ٦٨ .

(٥١) الصحاح ، مادة (سفه) : ٦ / ٢٢٣٤ .

(٥٢) ينظر : الكشاف : ٢ / ١١٠ .

(٥٣) المصدر نفسه : ٢ / ١١١ .

(٥٤) سورة هود آية : ٤٢ – ٤٣ .

(٥٥) سورة غافر آية : ٤٧ – ٤٨ .

(٥٦) سورة فصلت آية : ٢١ .

قائمة المصادر والمراجع

- الأساس في التفسير، سعيد حوّى، دار السلام ، القاهرة ، مصر ، ط ١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م
- استراتيجيات الخطاب / مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٤م .
- الاستلزام الحواري في التداولي اللساني / من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها ، العياشي أدواري ، دار الأمان ، الرباط ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١م .

- أنساق التداول التعبيري / دراسة في نظم الاتصال الأدبي (ألف ليلة وليلة أنموذجاً تطبيقياً) ، الدكتور فائز الشرع ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، العراق ، ط ١ ، ٢٠٠٩م .
- التبالغ والتبالغية – نحو نظرية تواصلية في التراث ، رشيد يحياوي، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤م .
- التداولية، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتابي، دار الأمان،الرباط، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- تداولية الخطاب السردي / دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي ، محمود طلحة ، تقديم الأستاذ الدكتور مسعود صحراوي ، عالم الكتب الحديث ، إربد الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٢م .
- التداولية عند العلماء العرب/دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
- التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صابر الحباشة ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
- التداولية واستراتيجية التواصل ،د. ذهبية حمو الحاج ، رؤية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ٢٠١٥م.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، آن روبول – جاك موشلار ، ترجمة : د. سيف الدين دغفوس ، د. محمد الشيباني ، دار الطليعة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣م .
- تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهر (ابن عاشور) (ت ١٣٩٣ هـ) ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤م .
- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨م .
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م .

- جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني ، د. صالح ملا عزيز ، دار الزمان ، دمشق ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- الحوار وخصائص التفاعل التواصلي / دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية ، د. محمد نظيف، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط ١ ، ٢٠١٠م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل ، شهاب الدين ، محمود البغدادي الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، تحقيق : محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٠م .
- سيكولوجية القصة في القرآن ، التهامي نقرة ، الشركة التونسية للتوزيع ، ط١ ، ١٩٧١م .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط٤ ، ١٩٩٠م .
- صيغ التمظهر الروائي / بحث في دلالة الأشكال ، أ.د. عبد اللطيف محفوظ ، النيا للدراسات والنشر والتوزيع ، ط ٥ ، ٢٠١٤م .
- عندما نتواصل نغير / مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، د. عبد السلام عشير ، أفريقيا الشرق ، المغرب ، ط ٢ ، ٢٠١٢م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ٢٠٠١م .
- اللسانيات المعاصرة في ضوء نظرية التواصل ، الأستاذ الدكتور نور الدين رايص ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٤م .
- اللغة والحجاج ، د. أبو بكر العزاوي ، العمدة في الطبع ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦م .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) ، دار الأسرة للطباعة والنشر ، إيران ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

- المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث ، د. أحمد رحيم كريم الخفاجي ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، ودار صفاء للنشر والتوزيع – عمان ، ط ١ ، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م .
- مظاهر التداولية / في مفتاح العلوم للسكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ، الأستاذ باديس لهويل ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٤م .
- مغامرة الكتابة في تمظهرات الفضاء النصي ، اعداد وتقديم ومشاركة محمد صابر عبيد ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط ١ ، ٢٠١٢م .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، أبو الحسن ، برهان الدين ، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، مصر ، بدون تاريخ .